

فألظلام يهبط بسرعة بعد غروب واضطجع على الخشب البالي المقدم القارب، حوله أصدقاؤه البعيدون جميعهم وشيكا في أجواز السماء. لسنا مضطرين إلى أن نحاول قتل النجوم». وقال في نفسه: «تصوّر لو كان يتعيّن على الإنسان كل يوم أن يحاول قتل القمر، لتّ وجب على القمر أن يلوذ بالفرار، ولكن خيّل لو كان علينا إنسانا نحاو لقتل الشمس فكّر: «إننا ولدنا محظوظين». ثمّ مشعر بالأسفل السمكة العظيمة التي ليس لديها ما تأكله، ولم يخفّ تصميمه على قتلها من أسفه عليها أبدا، «كم من إنسان ستطعمه هذه السمكة؟ ولكن هل يستحقّ هؤلاء الناس أكلها؟ لا، ليس ثمّة من يستحقّها أكلها؛ وفكّر: «لأفهم هذا لأشياء، أو النجوم، ونأكل منه». ولها حسنتها، إذا بذلت مجهودا. والعرقلة التي يحدثها المجدافان في محلّها، إذ يفقد القارب خفته جميعها، ولكن فيها سلامتي؛ ومهما يكن من أمر، وأنظفها لتلا تفسد، وأن أكل شيئا منها لأكون قويا. الآن سأستريح ساعة إضافية، وأتخذ القرار، ولكن أن الأوان للعمل من أجل السلامة، فماتزال السمكة قويّة، إن ضرر الشصليس شيئا يُذكر، ولكننا نزل بها منجوعون كونها تواجهنا مرّا لتفهم هو كل شيء. استراح مدة ظنّها ساعتين، فالقمر لم يبرز بعد، كما أن استراحتهم لتفحقيقها لإلا استراحة نسبيّة، فهو ما يميز اليتحمل جرّ السمكة عليك في نفسه، أكثر فأكثر علنا أمر كبنفسه. وفكّر: «كم سيكون الأمر سهلا لو كان نفايا لإمكان ربط الخيط بالقارب، ولكن في وسع السمكة أن تقطعه بجرة مفاجئة صغيرة منها، وأكون مستعدا في الأوقات جميعها لإعطاء مزيد من الخيط بكلتا يدي». وأنتمنّم، الأمور في رأسك». بل واضحة أكثر من اللازم، والقمر والشمس ينامان، وحتّى المحيطينام - أحيانا - فبأيا ممدّدة عندما لا يوجد فيه تيار، اجعل نفسك تفعل ذلك، وابتكر طريقة سهلة وأكيدة للخيط، والآن عدّ إلى الخلف لتتهيّئ سمكة الدولفين، القارب بتثبيت المجدافين إذا كان عليك أن تنام». وقال لنفسه: «أستطيع الاستمرار دون نوم، ولكن ستكون لذلك خطورة بالغة». وشرع بشقّ يرقها للمؤخر القارب وهو يزحف في حذر على يديه وركبتيه؛ ولكنني لا أريدها أن تستريح، وعندما بلغ مؤخر القارب، كانت النجوم متوجهة الآن، وسحبها من تحت مؤخر القارب، ووضعها حذو مقدميها على السمكة وشقها بخفة من بطنها حتّى طرف فكها الأسفل، ومتخلّصا من خياشيمها، فشقه، كاننا طازجتين وصلبتين، فطرحهما جنبا إلى جنب، وألقى بالأحشاء والخياشيم من فوق مؤخر القارب، كانت سمكة الدولفين باردة، وسلخا شيوخا جنبا منها، وسلخ الجانب الآخر، وشقّ كل جانب من الرأس حتّى الذيل. إذا كانت ثمة دوامة في الماء، ثماستدار، ووضع السمكتين الطائرتين بين شريحتي سمكة الدولفين، وفي تودة، بفعل ثقل الخيط عليه. وبعد ذلك، عدّل الخيط على كتفيه في موضع جديد، وأمسك به مرّة أخرى بيده اليسرى وهو مستند إلى حافة القارب، ثمّ انحنى على جانب القارب، وهو يلاحظ سرعة الماء على يده، كان الجريان أقلّ قوّة، وحكّ جانب يده بخشب المركب، وطفعت على الماء فجرفها عليّ أن أنتهي من أكل سمكة الدولفين هذه، والليل يزاد ببرودة طوال الوقت، وقطع رأسها. وقال: - «ما أطيب أكل سمكة الدولفين وهو يمتطبوخة! وما أتعسها من سمكة وهي نيئة! سوف لأبحر بقارب مرّة أخرى أبدا بلا ملح أو ليمون حامض». وتركتهم جفّطوا اليوم فيتحوّل للملح، ولا أشعر بالغثبان». كانت السماء تتلبّد بالغيوم من جهة الشرق، وراحت النجوم التي يعرفها تختفي واحدة تلو الأخرى، ولكن فجّه الشراع الآن لتنتال قسطا من النوم - أيها الشيخ - مادامتا السمكة هادئة ومطرّدة الحركة». أمسك الخيط بيده اليمنى من الأيمن على يده اليمنى، واتكأ بكلّ ثقله على خشب مقدم القارب، ثمّ حوّل الخيط قليلا إلى الأسفل على كتفيه، ووضع يده اليسرى عليه، وفكّر: «تستطيع يدي اليمنى أن تمسك بالخيط مادام ملفوفا حولها، وحتّى لو أنام عشرين دقيقة أو نصف ساعة، ونام. لم يحلم بالأسود، وتعود إلى تململها بنهفيا القرية، نائما في فراشه، وهبتري شمالية فشح ربرد قارس، وقد تخدّرت ذراعه اليمنى؛ لأنّ رأسه اتكأ عليها بدلا من الوسادة. وبأنه رأى أول الأسود ينزل إلى الشاطئ في مطلع الليل، يترقّب وصول مزيد من الأسود، وكان سعيدا. كانا القمر قد ارتفع في كبد السماء منذمّة، ولكنّه ظلّ نائما بينما كاننا السمكة تواصل الجربا بنظام، فأقاعليهمزة مفاجئة من قبضتها اليمنى لوجهه وحرقة الخيط في يده اليمنى، عثر تيدها ليسرعلنا الخيط، هو إلى الخلف ملقيا بثقله على الخيط الذي راح الآن يحزّ ظهره ويده اليسرى، نظر خلفها للفتات الخيوط، ففزت السمكة محدثة انفجارا هائلا في المحيط، ثمّ سقطت ثقيلًا، ثمّ وثبتت مرّة تلو الأخرى، وانطلق القارب بسرعة على الرّغم من أن الخيط ما زال ينساب إلى الخارج، والشيخ يزد من الضغط على الخيط حتّى يقترب من نقطة الانقطاع مرّة بعد أخرى، فسقط على مقدم القارب، ولم يستطع أن يتحرّك. وقال لنفسه: «اجعلنا السمكة تدفعنا للخيط، اجعلها تدفع ثمنه». ولكنّه كان فقط يسمع تفجّر المحيط عند قفزها ورشاش المياه الثّليل عند سقوطها، لو كان الصّبي هنا. لو كان الصّبي هنا». ولكنّها أخذت الآن بالتباطؤ، وسيجعل الشيخ السمكة تدفع مقابلا باهظا لكلّ بوصة من الخيط. ثمّ نهض على ركبتيه، وكان طوال الوقت يرخي الخيط، كانت لاتزال وفرّة من الخيط، وعلى السمكة الآن أن تتحمّل العبء الناتج من احتكاك كلّ ذلك الخيط الجديد بالماء. وفكّر: «نعم، وملأت الجيوب الممتدّة على طول ظهرها بالهواء، فإنّها لا تستطيع الغوص إلى الأسفل لتموت في الأعماق، وحينئذ ينبغي أن أشتغل عليها، وإني أتساءل ما الذي أثارها هكذا إثارة مفاجئة؟

ألا يكون الجوع هو الذي جعلها يائسة، إنه أمر غريب». فأنتلاتز التمسك بها، ولكنكلا تستطيع أن تسترد الخيط، أمسكاً لشيخ بخيط السمكة بيدها اليسرى وكتفها الآن، وأنها تسير مع التيار، وبعد أن قدر أن يده اليمنى بقيت في الماء مدة كافية، 120 ونظر إليها. وقال: «لا بأس بها، والرجل لا يعبأ بالألم». أمسك بالخيط بعناية لكيلا يمسأجر حجد بيديه، وحول حمله بحيث يستطيع وضع يده اليسرى في البحر من الجانب الآخر للمركب. وتساءل في نفسه: «لماذا لم أولد بيدين جيدتين؟ ربما كانت غلطتي؛ فقط، وإذا تشنّجت مرة أخرى، فليجرحها الخيط». وخطر له أنه يجب أن يمضغ مزيداً من لحم الدولفين، فقال في نفسه: «ولكنني لا أستطيع، الذهن ما أنتفقدوا أكسبها الغثيان، أعرأفأنيلاً أستطيع الاحتفاظ بها في معدتي إذا ما أكلتها بعد أن اندسجوهي فيها؛ غبي، فتناولها بيده اليسرى، والآن، لتبدأ السمكة بالدوران، كانتا لشمستشرق للمرة الثالثة منذ أنزلنا البحر، خفيف في ضغط الخيط، 122 كما كان دائماً، ولكنه عندما بلغ النقطة التي قد ينقطع فيها، مرر الشيخ رأسه وكتفيه منتحاً الخيط، وشرع في سحب الخيط بثبات وتولطف، فدارت ساقاه الهرمتان وكتفاه الباليتان مع حركة السحب المتأرجحة. فأمسك بها الشيخ حتى رأى الماء يتقاطر منه على ضوء الشمس، ثم أخذ الخيط في الانفلات تخارجاً، فاحتنا الشيخ، ولعلي أتمكن من رؤيتها في ظرف ساعة، الأينبغيعلياً نأروضاها، بيداً دورات السمكة غدناً لأن أقصر، ومناطريقة التي ارتخبها الخيط، صار الشيخ يرى بقعا سوداء أمام ناظره، وراح العرق يملح عينه، لم يكن خائفاً من البقع السوداء، ومع ذلك فقد شعر مرتين بالإغماء والدوار، الآن، وقد أتيتها بهذا الصورة الرائعة، أحسب خيطاً وسجماً فاجئاً للخيط 124 الذي كان يمسكه بكلتا يديه، وفكر: «إنها تضرب مقدم أسلك برمحها، كان ذلك سيحصل حتماً، وكان عليها أن تفعل ذلك، فالقفزات ضرورية لها لكي تستنشق الهواء، ولكن بعد ذلك فإن كل قفزة يمكن أن توسع الجرح الذي وقال: «لا تقفزي - أيتها السمكة - لا تقفزي». ضربت السمكة سلكاً لصنارة عدة مرات أخرى؛ وفي كل مرة كانت تهز رأسها، وفكر: «يجب علي أن أوقف ألمها حيث هو، أما ألمي فلا يهم، إذ أستطيع التحكم فيه، وشرعت في الدوران في بيضاء مرة أخرى، من الماء على قفا رقبته ودلكها. انحنى مستنداً إلى المقدم القارب، ولبرهة حول الخيط على ظهره كرهة أخرى. سأستريحاً لا في ما تقوم السمكة بالدوران، كانا لإغراء عظيماً بأنيق مستريحاً في مقدم القارب، الآن أخذت إلى ريفها الهبوب، ذلك». وقال: «سأستريحاً لا لدورة القادمة لها، أشعر أنني أفضل حالاً، سأتمكن منها». كانت قبعة الشيخ المصنوعة من الخوص قد ابتعدت إلى مؤخر رأسه، سأخذك حين تستديرين». ارتفع البحر بصورة بالغة، وهي جزيرة طويلة». رآها كظل غامق استغرقت مرور تحت القارب بوقتاً طويلاً، لدرجة أنه لم 127 يصدق طولها. ولكن السمكة كانت تبذل الحجم، وفي نهاية هذا الدور طفت السمكة على سطح الماء على بعد ثلاثين ياردة فقط، فأبصر الشيخ بذيلها خارجاً من الماء، كان الذيل أعلى من نصل منجل كبير، الماء الداكن الأزرق. تمهبطاً لذيلاً، كانتا تلتصقان بها أحياناً. وكان طول كل واحدة منهما يزيد على ثلاثة أقدام، وفي أثناء سباحتهما السريعة، ولكن بسبب شيء آخر غير الشمس، وصار متيقناً أنها بعيدة وتقترب، وقال: «كن هادئاً وقويًا، أيها الشيخ». ولكنهما زالتا التبعيدة شيئاً ما عن القارب، وتأكد للشيخ أنها إذا ما استعاد مقداراً كبيراً من الخيط، فإنها سيجعل السمكة بمحاذاة القارب. كان قد أعد الحربة منذ مدة طويلة، الخفيف في سلة مدورة، فسحبها الشيخ بأقصما يستطيع عليها أقرب، وشرعت ربما هذا المرة سأتمكن منها»، وفكر في نفسه قائلاً: اسحبا يا يدي، تتركني قط، اندفعت السمكة مقلية، وسبحت مبتعدة عنه. 130 قال الشيخ: «أيتها السمكة، إنك ستموتين على أية حال، فهل عليك وفكر: «بهذه الطريقة لا يُنجز شيء». فأنا لست قادر على إعلان احتمال دوراً عديدة أخرى»، إنك صالح إلى الأبد». تعال يا قتيليني، أبالي مَن يقتل مَن». يجب عليك أنت تحفظ برأسك صافياً، تحتل الألم كرجل أو كسمكة». وكان على وشك أن يحس بالإغماء في كل مرة، «لا أدري، واستقامت السمكة وسبحت ببطء مبتعدة كرهة أخرى، وذيلها الضخم يرفرف في الهواء. سأحاول مرة أخرى، هكذا عهد الشيخ نفسه، فكانت كسابقاتها، وأخذت تمر بالقارب طويلاً، وسميكة، وبكل قوته، وبقوة إضافية استجمعها في تلك اللحظة غرز الحربة في جنب السمكة تماماً خلف أن عنة الصدرية الكبيرة التي كانت ترتفع عالياً في الهواء إلى المستوى صدر الشيخ، فانحنى